

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة ألم نشرح مكية

أَرْتَحَىٰ لَكَ مَدْرَكَ ①.

استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فافاد إثبات الشرح وإيجابه فكانه قيل: شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارًا للمعنى. ومعنى شرحنا صدرك. فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعًا، أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم، أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم.

وَرَوَّمْنَا عَنكَ وَيَزَكُّ ②.

وأزلنا عنه الضيق والهرج الذي يكون مع العمى والجهل. وعن الحسن: ملئ حكمةً وعلمًا. وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ: ألم نشرح لك بفتح الحاء. وقالوا لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها.

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③.

والوزر: الذي أنقض ظهره أي: حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله، مثل لما كان يثقل على رسول الله ﷺ ويغمه من فرطاته قبل النبوة، أو من جهله بالأحكام والشرائع، أو من تهالكه على إسلام أولي العباد من قومه وتلفه. ووضع عنه أن غفر له، أو علم الشرائع، أو مهد عنده بعد ما بلغ وقرأ انس وحللتنا وحططنا. وقرأ ابن مسعود: وحللتنا عنك وقرئ.

رَوَّمْنَا لَكَ وَيَزَكُّ ④.

ورفع نكره أن قرن بنكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن. ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾⁽¹⁾ ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾⁽²⁾ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾⁽³⁾ وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه نكره في كتب الأولين والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به.

فإن قُلْتُ: أي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه⁽⁴⁾؟ قُلْتُ: في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح. كأنه قيل: ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحة. ثم قيل: صدرك. فأوضح ما علم مبهمًا، وكذلك لك نكره وعنك ويزك.

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤.

فإن قُلْتُ: كيف تعلق قوله: ﴿فإن مع العسر يسرا﴾ بما قبله؟ قُلْتُ: كان المشركون يعيرون رسول الله ﷺ والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لانفتقار أهله واحتقارهم فنكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم. ثم قال: فإن مع العسر يسرا. كأنه قال: خولناك ما خولناك فلا تياس من فضل الله فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسرا.

فإن قُلْتُ: إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر؟ قُلْتُ: أراد أن الله يصيبيهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمام قريب، فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب.

فإن قُلْتُ: ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: لن يغلب عسر يسرين⁽⁵⁾. وقد روي مرفوعًا أنه خرج ﷺ ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين! قُلْتُ: هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء، وإن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول في أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرًا للأولى كما كرر قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾⁽⁶⁾ لتقرير معناه في النفوس وتمكينها في القلوب. وكما يكرر المفرد في قولك: جاني زيد زيد، وإن تكون الأولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة.

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤.

والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وإنما كان العسر واحدًا لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد في قولك: إن مع زيد مالا، إن مع زيد مالا. وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضًا وأما اليسر فمكرر متناول لبعض الجنس فإذا كان الكلام الثاني مستأنفًا غير مكرر فقد تناول بعضًا غير البعض الأول بغير إشكال.

فإن قُلْتُ: فما المراد باليسرين؟ قُلْتُ: يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله ﷺ وما تيسر لهم في أيام الخلفاء، وإن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة. كقوله تعالى: ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾⁽⁷⁾ وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب.

(5) أخرجه عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ميمون أبي حمزة عن إبراهيم عن ابن مسعود، ابن حجر ص 185.

(6) سورة الطور، الآية: 11.

(7) سورة التوبة، الآية: 52.

(1) سورة التوبة، الآية: 62.

(2) سورة النور، الآية: 52.

(3) سورة المائدة، الآية: 92.

(4) قال أحمد: وقد تقدم عند الكلام على نظيرها في قوله: ﴿قال رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري﴾ قريب من هذا المعنى، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التين مكية

وَالزَّيْتُونِ وَالنَّخْلِ

اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة. وروي انه اهدى لرسول الله ﷺ طبق من تين فاكل منه، وقال لاصحابه: «كلوا، فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه. لان فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس»⁽³⁾. ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيباً واستاك وقال: انه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة»⁽⁴⁾. وسمعته يقول: «هي سواكي وسواك الانبياء قبلي». وعن ابن عباس رضي الله عنه: هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل: جبلان من الارض المقدسة يقال لهما: بالسريانية: طور تيناً وطور زيتاً لانهما منبتا التين والزيتون. وقيل: التين جبال ما بين حلوان وهمدان، والزيتون جبال الشام لانها منابتهما. كانه قيل: ومنابت التين والزيتون.

طُورِ سِينِينَ

واضيف الطور، وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة. ونحو سينون يبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب.

وَعَدَا آلِ الْيَمِينِ

والبلد: مكة حماها الله. والامين: من امن الرجل امانة فهو امين. وقيل: امان، كما قيل: كرام في كريم، وامانته ان يحفظ من نخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه. ويجوز ان يكون فعيلاً بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل، كما وصف بالامن في قوله تعالى: «حَرَمًا آمِنًا»⁽⁵⁾ بمعنى: ذي امن. ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين. فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه، والطور: المكان الذي نودي منه موسى. ومكة: مكان البيت الذي هو هدًى للعالمين، ومولد رسول الله ﷺ ومبعثه.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ

فإن قُلْتُ: فما معنى هذا التنكير؟ قُلْتُ: التفخيم. كانه قيل: ان مع العسر يسراً عظيماً واي يسر. وهو مصحف ابن مسعود مرة واحدة.

فإن قُلْتُ: فإذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال: والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين! قُلْتُ: كانه قصد باليسرين ما في قوله: يسراً من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة.

فإن قُلْتُ: فكيف تعلق قوله:

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ بما قبله؟ قُلْتُ: لما عد عليه نعمه السالفة ووعده الأنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلو وقتاً من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة نبيه بأخرى. وعن ابن عباس: فإذا فرغت من صلواتك فاجتهد في الدعاء. وعن الحسن: فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة. وعن مجاهد: فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلواتك. وعن الشعبي انه رأى رجلاً يشيل حجراً فقال: ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغاً من غير شغل، أو اشتغاله بما لا يعنيه في بيته أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة. ولقد قال عمر رضي الله عنه: اني لآكره أن أرى أحدكم فارغاً سهيلاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة⁽¹⁾. وقرأ أبو السمان: فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة. ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي: فانصب علياً للإمامة، ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمراً بالنصب الذي هو بغض على وعداوته.

وَلَا رَيْبَ فَارغَبٍ

﴿وَالرَّيْبُ فَارغَبٌ﴾ واجعل رغبتك إليه خصوصاً ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه. وقرئ: فرغب أي: رغب الناس إلى طلب ما عنده. عن النبي ﷺ: «من قرأ ألم نشرح فكأنما جاني وأنا مقدم ففرج عني»⁽²⁾.

(3) أخرجه ابو نعيم في كتاب: الطب، الزيلعي 241/4.

(4) رواه الطبراني في الاوسط والثعلبي في تفسيره، الزيلعي 242/4.

(5) سورة القصص، الآية: 57.

(1) حديث عمر قال عنه الزيلعي 236/4 وحديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة 300/13 كتاب: الزهد، باب: كلام ابن مسعود.

(2) ذكره الثعلبي وابن مرويّه والواحدي في تفاسيرهم، الزيلعي 4/